ثم نام وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الاية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان سورة المايدة
من اخر القران نزولا وقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك
وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جيت به
من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شي يعني قل يا محمد
لهولا اليهود والنصارى لستم على شي مما تدعون انكم عليه مما جاكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاكم به
عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جا رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام
ابن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتومن بما عندنا
من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ
عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس فانا بري من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا
على الحق والهدى ولا نومن بك ولا نتبعك فانزل الله قل يا اهل الكتاب لستم على شي حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها ومن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير ما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
وقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين يعني ولا تحزن يا محمد على هولا اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يومنوا بك فانما
يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى لما بين الله عز وجل
ان اهل الكتاب ليسوا على شي ما لم يومنوا بين في هذه الاية ان الحكم عام في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم
فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله ورسوله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابيون
وظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابيين وكذا قراه ابي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة
وقرا الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابيون بالابتدا على نية التاخير كانه قيل
الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والصابيون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابيين على من قبلهم هي ان الصابيين اشد الفرق
المذكورين في هذه الاية ضلالا وكانه قال هولا الفرق اذا امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى
الصابيون فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابيين لانهم صبوا على الاديان كلها يعني خرجوا
لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جات به الرسل من عند الله فان
قلت قد قال الله تعالى في اول الاية ان الذين امنوا ثم قال في اخر الاية من امن بالله فما
فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان المنافقين كانوا يظهرون ويدعون انهم مومنون
ففي هذا التكرار اخراجهم من قبيل المومنين فيكون معنى الاية ان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال
من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فايدة اخرى وهو ان الايمان يدخل تحته اقسام
كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففايدة التكرير التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذين القسمين
وفي قوله من امن بالله فيه حذف تقديره من امن بالله واليوم الاخر منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند
السامعين وعمل صالحا يعني وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا

هم

هم يحزنون يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة بان
يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتها عما نهيناهم عنه وارسلنا اليهم رسلا يعني ليبان الشرايع
والاحكام كلما جاهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل
بالشرايع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذي جاتهم وفريقا يقتلون يعني من الرسل وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله
عز وجل ومخالفة لامره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هولا الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا الا تكون فتنة
يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك وذلك الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاهم بشرع
اخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها
وقيل انما اقدموا على ذلك لاعتقادهم اباهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعني
انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك
الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه
السلام ثم تاب الله عليهم يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بعد ذلك في زمان
زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود
لان بعضهم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل
الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم
الميثاق وقتلهم الانبيا وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد
فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى
لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرايل
عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لانه عليه السلام لم يفرق
بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلايل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه
وماواه النار يعني انه يصير الى النار في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم
بالشرك من انصار يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيمة قوله تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية من النصارى وللتفسير قول النصارى
طريقان احدهما وهو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية
مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح اانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة الهة او واحد من ثلاثة الهة
قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد انه ثالث ثلاثة الهة لانه ما من اثنين الا
والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا
عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد
كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)